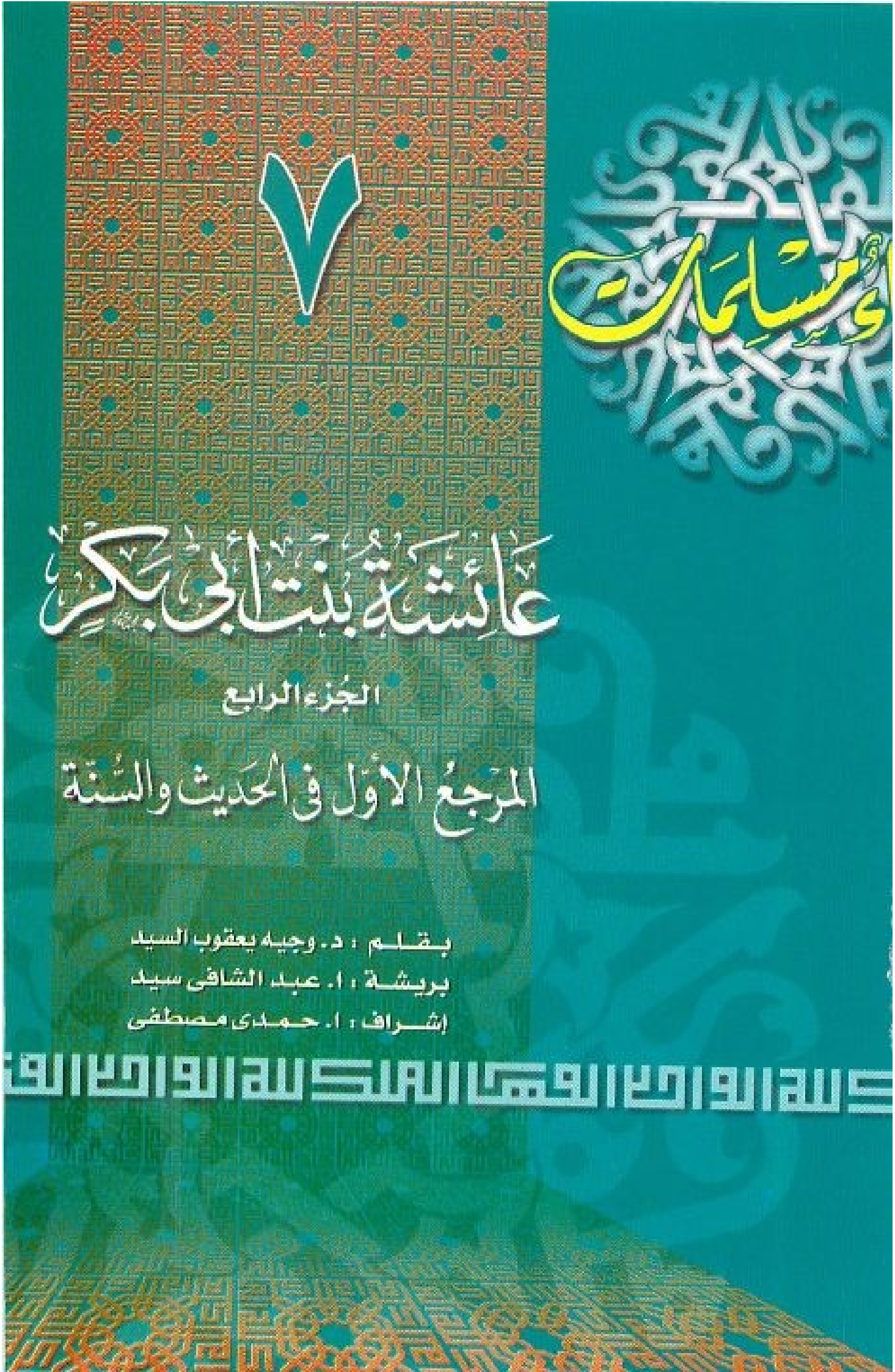
٧
أي مسلمات
عائشة بنت أبي بكر
الجزء الرابع
المرجع الأول في الحديث والسنة
بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافي سيد
إشراف : ا. حمدي مصطفى

بعدَ أنْ أنزلَ اللَّهُ براءةَ (عائشةَ رضى اللَّهُ عنها) ، عادتْ إلى بيتِ الرسولِ ﷺ ، لتُشيعَ فيه البهجةَ والسرورَ ، بما كانتْ تملكهُ منْ روحٍ جميلةٍ ودعابةٍ بريئةٍ ، عادتْ لتملأَ حياةَ الرسولِ ﷺ بالحبِّ والمودَّةِ ، وكانَ الرسولُ ﷺ يقولُ لها :

ـ حبكِ يا (عائشةُ) فى قلبى كالعروةِ الوُثْقَى .

وكانتْ (عائشةُ) يُسعدها ذلكَ ، وتباهى بهِ زوجاتِ النبىِّ ﷺ وتقولُ :

ـ أيةُ امرأةٍ كانتْ أحظَى عندَ زوجٍ منى !

ولمْ يكنْ حبُّ الرسولِ ﷺ لـ (عائشةَ) يخفَى على أحدٍ ، فقدْ سألهُ (عمرُو بنُ العاصِ) مرةً :

ـ يا رسولَ اللَّهِ ، مَن أحبُّ الناسِ إليكَ ؟

فقالَ ﷺ :

ـ (عائشةُ) .

فقال (عمرُو بنُ العاصِ) :

ـ مِنَ الرجالِ ؟

فقالَ ﷺ :

ـ أبوهَا .

وكانَ الرسولُ ﷺ يحرصُ على إرضائِها وإدخالِ السرورِ إلى قلبِهَا ، وعندمَا كانتْ (عائشةُ) تغضبُ منهُ ﷺ ، كان يعرفُ ذلكَ منْ حديثِها ، فيسارعُ إلى إرضائِها .

فذاتَ يومٍ قالَ لها ﷺ :

ـ إنى لأعْلمُ متى كنتِ عنِى راضيةً وإذا كنتِ علىَّ غضبَى .

فقالتْ (عائشةُ) :

ـ ومِنْ أينَ تعرفُ ذلكَ ؟

فقالَ ﷺ :

ـ أمَّا إذا كنتِ راضيةً فإنكِ تقولينَ : لا ، وربِّ (محمدٍ) ، وإذا كنتِ غضبَى قلتِ : لا ، وربِّ (إبراهيمَ) .

فقالتْ (عائشةُ) :

ـ أجلْ واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ ، ولكنْ ما أهجرُ إلا اسمكَ .

وظلتْ (عائشةُ رضىَ اللَّهُ عنها) تقومُ بواجبِها نحوَ

زوجِها ﷺ فتأسُو جراحَهُ وتداوِى آلامَهُ ، وتقفُ خلفَهُ فى مراحلِ الدعوةِ إلى اللَّه ، فتشيرُ عليه بالرأى ، وتحفظُ عنهُ ما يقولُ وما يفعلُ حتى تبلّغَهُ إلى المسلمينَ فيعملُوا به .

ولما شاءتْ إرادةُ اللَّه أنْ يقبضَ إليه حبيبَهُ المصطفى ﷺ ، بعدَ أنْ أدّى الأمانةَ وبلّغَ الرسالةَ ونصحَ الأمةَ ، كانتْ (عائشةُ) بجواره تداويه وتخففُ عنهُ ، وتدعو اللَّهَ أنْ يشْفيَهُ ويُذهبَ ما به مِن سقامٍ .

فقدْ مرَّ الرسولُ ﷺ بـ (عائشة) ، فوجدها تشكُو ألمًا في رأسِها وتقولُ :

ـ وا رأساهُ .

فقال لها ﷺ :

ـ بلْ أنا واللَّه يا (عائشةُ) وا رأساهُ .

لكنَّ ألمَ الرسول ﷺ لم يكنْ قد اشتدَّ إلى الحدِّ الذى يُلزمُه الفراشَ ، أو يمنعُهُ منْ مداعبة أهله والتلطُّف معهم ، فلما كررتْ (عائشةُ) الشكوى منْ رأسِها ، قال يداعبُها : وما ضرَّكِ لوْ متِّ قبلي ، فقمتُ عليكِ وكفنتكِ ، وصليتُ عليكِ ودفنتكِ ؟

وأثارتْ هذه الدعابةُ فى نفسِ (عائشةَ) الغيرةَ فقالتْ :

ـ ليكنْ ذلكَ حظَّ غيرى ، واللَّه لكأنِّى بكَ لوْ قدْ فعلتَ ذلكَ ، لقدْ رجعتَ إلى بيتى فأعرستَ فيه ببعضِ نسائكَ .

وكأنَّ (عائشةَ) كانتْ تريدُ أنْ تعرفَ حبَّ الرسول ﷺ لها وتسمعَ منهُ ما يرضيها ، لكنَّ الرسولَ ﷺ أحسَّ باشتداد المرض عليه فجأةً فتوقفَ عنْ مداعبته لـ (عائشةَ) ، فلما سكنَ عنهُ الألمُ بعضَ الشيءِ قامَ

يطوفُ بأزواجه كما عوّدهُنَّ ، لكنَّ الألمَ جعلَ يشتدُّ عليه ، فاستأذنَ من أزواجه أنْ يبقى فى بيت (عائشة) فى فترة مرضه ، فأذنَ لهُ أزواجُهُ بذلك ، فخرج ﷺ عاصبًا رأسهُ ، يعتمدُ فى مسيرته على (علىِّ بنِ أبى طالب) وعلى عمه (العباس) ، وقدماهُ لا تكادان تحملانه حتى دخل بيت (عائشة) ، فمكثَ عندها طيلةَ فترة مرضه .

وانتقلَ النبيُّ ﷺ إلى بيتِ الحبيبةِ لتمرِّضَهُ وتداويه ، ولـمَّـا جـاءَ وقتُ الصـلاةِ لم يسـتطعْ أنْ يقـومَ ويصلِّيَ بالناسِ فقالَ :

ـ مُرُوا (أبا بكرٍ) أنْ يصلِّيَ بالناسِ .

فقالتْ (عائشةُ) :

ـ يا رسولَ اللَّه ، إنَّ (أبا بكرٍ) رجلٌ ضعيفٌ ، وإنهُ متى قـامَ مـقـامَكَ لمْ يصلْ صـوتُهُ إلى المسلمينَ ، فلوْ أمـرتَ (عمر) .

فقالَ ﷺ :

ـ مُرُوا (أبا بكرٍ) أنْ يصلِّيَ بالناسِ .

ووضعَ الرسولُ ﷺ رأسهُ فى حجرِ (عائشةَ) ، وراحتْ تتـأملُهُ بدهشـةٍ وهى تـراهُ يشـخَصُ ببـصـرِهِ إلى السـمـاءِ ويقولُ :

ـ بلِ الرفيقُ الأعلَى منَ الجنة .

وأدركتْ (عائشةُ) أنَّ الرسولَ ﷺ قدِ اختارَ جوارَ ربِّهِ ، فقالتْ وهى تضعُ رأسهُ على الوسادة :

ـ خيِّرتَ فاخْترتَ والذى بعثكَ بالحقِّ .

ولم يصدّقِ المسلمونَ النبأَ ، أحقًا ماتَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ؟

وهنا قامَ (أبو بكرٍ الصديقُ) بأعظمِ دورٍ فى تاريخِ الإسلامِ

فقدْ قالَ فى يقينٍ :

ـ أيها الناسُ ، إنهُ منْ كانَ يعبُدُ (محمدًا) فإنَّ (محمدًا) قدْ ماتَ ، ومنْ كانَ يعبدُ اللَّهَ فإنَّ اللَّهَ حىٌّ لا يموتُ .

ثم تلاَ عليهمْ قولَهُ (تعالَى) :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَئِنْ

مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ .

[آل عمران : ١٤٤]

وأفاقَ المسلمونَ على هذه الحقيقة الأليمة ، ولأول مرة تنهمرُ دموعُهم بهذه الغزارة ، وتُظْلِمُ الحياةُ أمامَهُمْ وقالُوا :

ـ واللَّه ، لكأننا نسمعُ هذه الآيةَ لأولِ مرةٍ ، وما نعلمُ أنها نزلتْ إلا حينَ قرأها (أبو بكْرٍ) .

وعاشتْ (عائشةُ رضى اللَّهُ عنها) بعدَ الرسولِ ﷺ زمناً طويلاً ، وأصبحتْ خلالَ هذا الزمنِ المرجعَ الأولَ للمسلمينَ في الحديثِ والسنةِ والفقه ، حتى قالَ العلماءُ عنها :

ـ لقدْ حفظتْ (عائشةُ رضى اللَّهُ عنها) نصفَ أحكامِ الشريعة .

ولمْ تعشْ (عائشةُ رضى اللَّهُ عنها) بمعزلٍ عما يحدثُ على الساحةِ الإسلاميةِ ، فقدْ شاركتْ في الأحداثِ مشاركةً إيجابيةً ، وكانَ لها موقفٌ معروفٌ ، فبعدَ أنْ حاصرَ الثوارُ والمتمردونَ بيتَ (عثمانَ بنِ عفانٍ) وقتلوهُ ظلماً وبغياً ، جاءَ الخبرُ إلى (عائشةَ) وهي في طريقِها

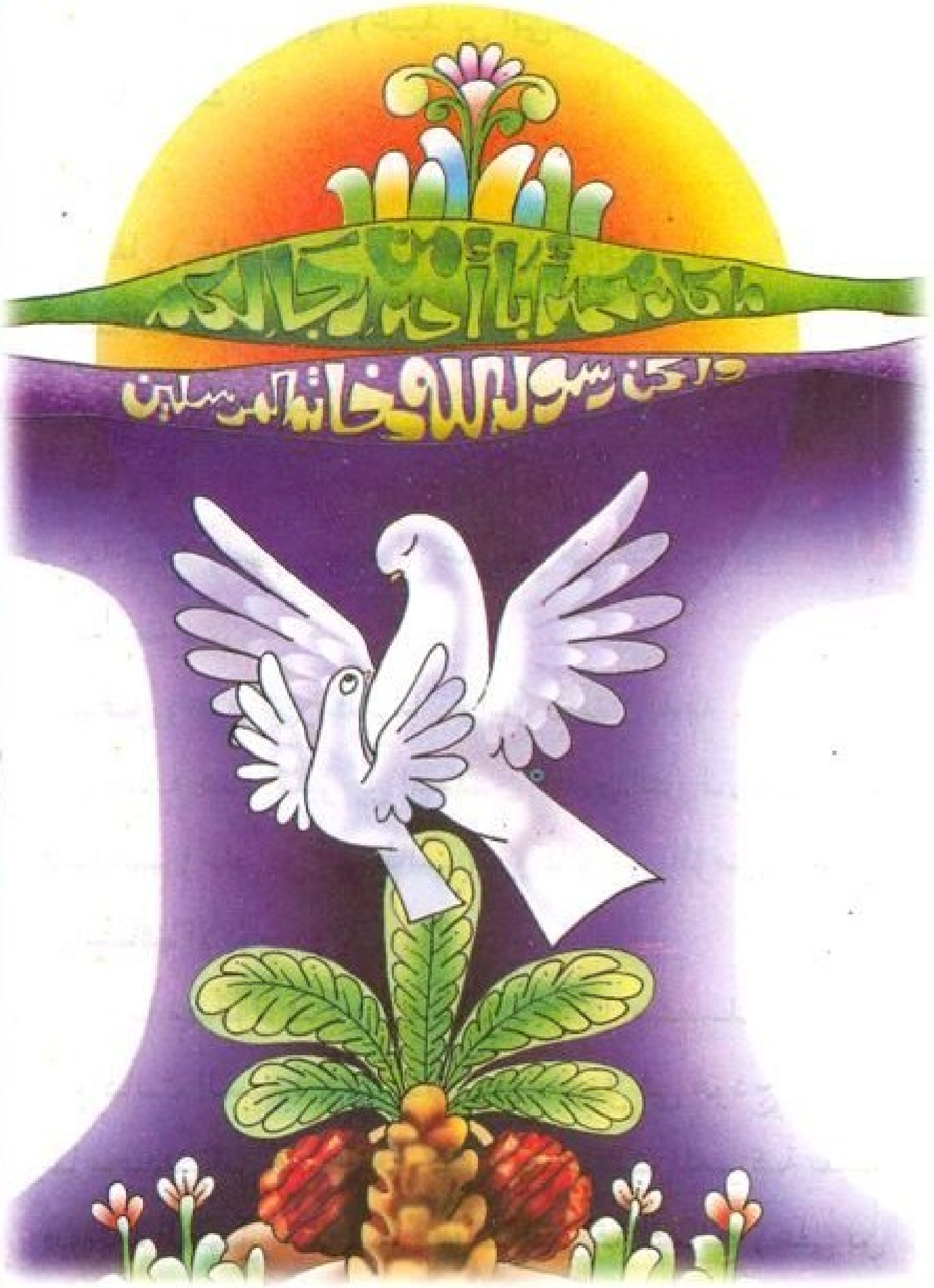
ما كان محمد أبا أحد من رجالكم
ولكن رسول الله وخاتم النبيين

إلى مكةَ حيثُ لقيها (عُبَيْدُ بنُ أبى سلمةَ) فقالتْ لهُ :

ـ ما وراءَكَ ؟

فقالَ :

ـ قُتلَ (عثمانُ رضي الله عنه) بأيدى البُغاةِ الأشرار .

فسألتهُ قائلةً :

ـ وماذا صنعَ الناسُ بعدَهُ ؟

فقالَ :

ـ اجتمعَ رأيهمْ وبايعوا (علىَّ بنَ أبى طالبٍ) .

فقالتْ :

ـ قتلَ (عثمانُ) مظلومًا ، واللَّه لأطلبنَّ بدمه .

واجتمعَ عددٌ كبيرٌ منَ المسلمينَ طالبينَ الثأرَ لـ (عثمانَ) ، فلما علمَ (علىُّ بنُ أبى طالبٍ) ، وكانَ أميرَ المؤمنينَ وخشى أنْ تتفاقمَ الأمورُ ، وقالَ :

ـ إنها ستكونُ فتنةً وسأُمسكُ الأمرَ ما استمسكَ بيدى .

وكانتِ السيدةُ (عائشةُ) على جملٍ فى هودجٍ تراقبُ ما يحدثُ فى أثناءِ المعركةِ ، وسميتِ المعركةُ باسمِ « واقعةِ الْجملِ » ، ولمَّا انتهتِ المعركةُ لصالحِ (علىِّ بنِ

أبى طالبٍ) ، أمرَ جنودَهُ أنْ يحسنوا إلَى أمِّ المؤمنينَ (عائشةَ) ، وقدْ أحسنَ الإمامُ (علىٌّ) إليهَا ، ولمَّا كانَ يومُ رحيلِهَا حضرَ الإمامُ (علىٌّ) ليودعَهَا بنفسِه ، وأحسَّتْ (عائشةُ) بما فى نفسِ (علىٍ) منْ عتابٍ فقالتْ :

ـ يا بنىَّ ، لا يعتبْ بعضٌ على بعضٍ ، إنهُ واللَّهِ ما كانَ بينِى وبينَ (علىٍ) فى القديمِ ، إلاَّ ما يكونُ بينَ المرأةِ وأحْمائِها ، وإنهُ علَى معْتبَتِى لمنَ الأخيارِ .

فقالَ (علىٌ) :

ـ أجلْ واللَّهِ ، ما كانَ بينِى وبينَهَا إلاَّ ذاكَ ، وإنهَا لزوجةُ نبيِّكُمْ فى الدنيَا والآخرةِ .

وبقيتْ (عائشةُ رضىَ اللَّهُ عنها) تشاركُ فى الأحداثِ السياسيةِ والاجتماعيةِ ، وتجتهدُ رأيَها ما استطاعتْ ، فإنْ أصابتْ فلهَا أجرانِ ، وإنْ أخطأتْ فلهَا أجرٌ واحدٌ ، كما قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ .

وقدْ تُوفيتْ (رضىَ اللَّهُ عنهَا) عنْ عمرٍ يناهزُ السادسةَ والستينَ وذلكَ عامَ سبعةٍ وخمسينَ للهجرةِ ، وصلَّى عليها (أبو هُريرةَ رضي الله عنه) ، ثمَّ دُفنتْ بالبقيعِ مع أمَّهاتِ المؤمنينَ .

ولئن كانت (عائشة) قد انتقلت إلى جوارِ ربِّها وودّعها المسلمون، فقد تركت من العلْمِ الغزيرِ والأحاديثِ الشريفةِ ما يذكّرُ المسلمين بها في كلِّ حينٍ،

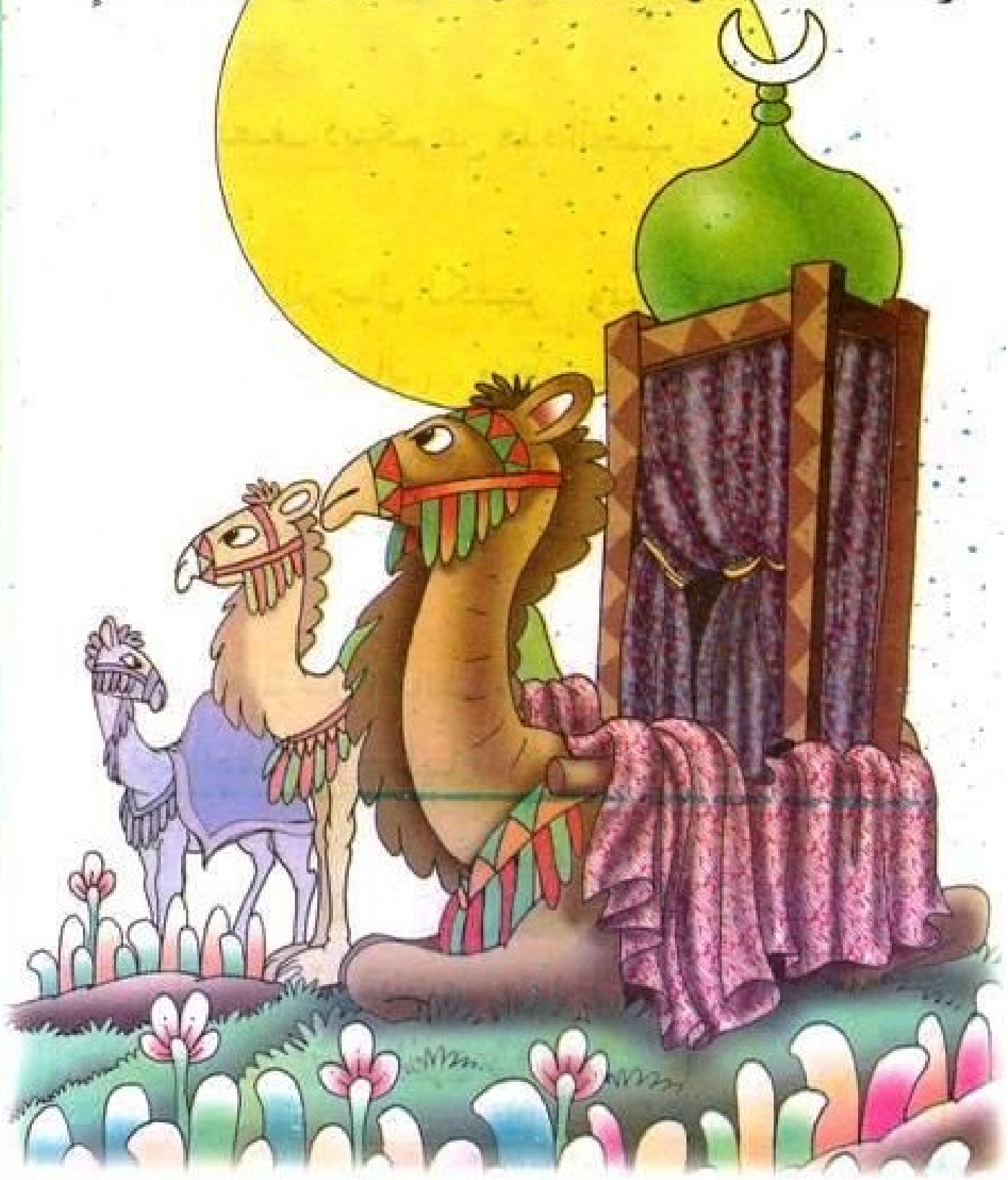

المكتبة الوقفية

فلا يخلُو كتابٌ منْ كتبِ الأحاديثِ منْ حديثٍ روتْهُ (عائشةُ رضىَ اللَّهُ عنها) عنْ رسولِ اللَّه ﷺ .

ويكفى أنَّ الرسولَ ﷺ أوْصَى المسلمينَ بأنْ يأخذُوا عنها العلْمَ فقالَ ﷺ :

ـ خذُوا نصفَ دينكمْ عنْ هذهِ الْحُمَيْراءِ .

وقال ﷺ :

ـ كملَ منَ الرجالِ الكثيرُ ، ولمْ يكمُلْ منَ النساءِ إلاَّ (مريَم ابنةَ عمرانَ) ، و (آسيةَ) امرأةَ (فرعونَ) ، و (خديجةَ بنتَ خويلدٍ) ، و (فاطمةَ بنتَ محمدٍ) ، وفضلُ (عائشةَ) على النساءِ كفضلِ الثريدِ على سائرِ الطعامِ . .

رحمَ اللَّهُ أمَّ المؤمنينَ (عائشةَ) رحمةً واسعةً ، ونفعَ المسلمينَ بسيرتِهَا العطرةِ ، وجعلهَا قدوةً لنسائنَا وبناتنَا وأخواتنَا .

(تَمَّتْ)

الكتاب القادم

حفصة بنت عمر بن الخطاب (١)

(شرف الزواج من الرسول ﷺ)

رقم الإيداع : ٢٠٠١/٣٦٤٤

الترقيم الدولى : ٥ ـ ٥٨١ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧